وداعاً يا بابا أثيناغوراس

مع الآباء البطاركة والرؤساء السابقين

١٩٧١

يوسف جنبيه

مقدمة

خسرت الكنيسة القبطية البطريرك القديس أنبا كيرلس . متوحد عابد وناسك محب للمسيح ، قدوة فى الصوم والصلاة ، له مواقف مشهورة فى الكنيسة والدولة . فارق هذا العالم الواثل يوم الثلاثاء ٩ / ٣ / ١٩٧١ (٣٠ أمشير سنة ١٦٨٧) إلى الأمجاد السمائية .

فاجأته النوبة القلبية وفى ثلاث دقائق فارق الحياة - حقاً ما قاله القديس يعقوب الرسول إن حياتنا ما هى إلا **بخار يظهر قليلا ثم يضمحل ...**

سجى جثمانه الطاهر على كرسى العرش البطريركى لتلاقى الجماهير نظرة الوداع وبدأت الألوف العديدة من الجماهير التى تتلظى بنيران فراقه تلاقى نظرتها الأخيرة . وفى فجر الخميس نقل الجثمان فى عربة خاصة من مقـــره بالكنيسة المرقسية بكاوت بك إلى الكاتدرائية الكبرى بالعباسية حيث تمت مراسيم الصلاة يوم الخميس من الساعة ٥ م للساعة ٧ م ، ثم حمل على الأعناق إلى بطن الأرض - وهذه هى نهاية كل حى ، من تراب وإلى تراب يعود - بين دموع غزيرة مريرة وزفرات قلبية عميقة غمرت نفوس الجميع

بلا استثناء بما لم تشهده الناس فى تاريخ طويل . كانت أيامه على الكرسى المرقسى قصيرة لكنها ظفرت من الاصلاحات ما لم يمكن أن تحمله أزمان طويلة .

يا رئيس الآباء :

ما هذه الألوف المؤلفة فى هذا الحداد الأليم والجميع تتمزق قلوبهم ...

يا رئيس الآباء :

الذى كانت صنائعه وقرابينه دائماً أمام كرسى الله فى كل حين بما لم يحدث من أزمان طويلة . مئات الألوف يذكرون المراحم التى كنت تصنعها معهم على الأرض برفع الصلوات الحارة باكر وعشيـــة .

سار فى خطاه أبناؤه الكهنة وحذوا حذوه فغمرت بيوت الصلاة بالعابدين بهمة لا تعرف الكلل أو الملل . أصبح مئات الألوف من أبنائه العلمانيين يسيرون على نهجه ، فادهم جميعاً بحبه وحياهم من روحه وليه ولم يقدهم بمظاهر العنف والاستعلاء أو حباً للمجد والخيلاء ، فكان له فى كل هذه القلوب من الطفل الصغير إلى الشيخ ، غنيهم وفقيرهم ، صغيرهم وكبيرهم رجالا وسيدات على اختلاف طبائعهم واستعدادهم وجهودهم - أحسن موضع .

يا رئيس الآباء :

لقد استبدلت متاعب هذا العالم وأوجاعه وأمراضه وأحزانه بأفراح السماء. فهنيئاً لك بفردوس النعيم، أدخل إلى فرح سيدك إلى الفرح الدائم إلى الإنقضاء.

هنا الأرض ودعته بين الدموع والبكاء الذى لا ينقطع، وهناك فى السماء استقبله البشير الإنجيلى مرقس الذى حمل رفاته وجموع الآباء القديسين البطاركة والأساقفة والرهبان والنساك بصنوج الفرح والتهليل.

ها هى أبواب الفردوس تفتح لاستقبال هذا القديس الطاهر الظافر فينضم إلى الرسل وإلى رفاقه الأبطال المجاهدين، الآباء البطاركة والأساقفة السابقين.

لقد حارب وانتصر على إبليس وجنوده - لقد نفذ وصية السكال التى قالها السيد المسيح له المجد، إن اردت أن تكون كاملا إذهب، بع كل ما لك واتبعنى حاملا الصليب.

لم تنقطع صلواته، قداساته اليومية لم تبطل، أصـــوامه الإنقطاعية الطويلة لم يمتنع عنها حتى فى شدة حالات مرضه.

طوباك ثم طوباك يا أبى القديس، فقد رفعك الرب إلى مصاف القديسين الذين يتشفعون فى ضعفنا.

كثيرون يعظون بالكلام. أما أنت أيها القديس فعظاتك بالعمل. عملت بما قاله القديس افرام السريانى: «من الآن دع القول ... وابدأ بالعمل، أنظر إلى الأيام والليالى ما أسرعها، وهى حريصة فى أمورها لا تتكلم.. هل تقول الشمس انها تضىء؟ ليس بكلمتها تضىء العالم لكن بعملها...

ليس بالكلام تنفذ الأعمال لكن بالأعمال تقوم الخليقة. الشمس تنير وتضىء الأرض من غير أن تتكلم ...».

كثيرون يلقون محاضراتهم الفلسفية عن الصوم وضرورته ويتكلمون ويطيلون الكلام ... ولكن هل يمارسون الصوم كما ينطقون ؟

أما أنت فصومك نقى فى غير ضجيج. تصلى دوماً بغير فتور تقبل إليك كل النفوس المتعبة وبابك مفتوح للجميع. يرى الكل فيك سمات القديسين، يتعلم من صمتك أفضل الخطباء وأبلغ المتكلمين.

يا لها من دروس لا تنسى تلقاها الناس.

وصل البطريرك المتنيح إلى درجة التوحد وهى درجة فائقة فى السمو الروحانى وفى الطقس الرهبانى - لا يقوى عليها إلا كل جبار مارس ضراوة الحرب الروحية ضد الشيطان.

ويكفى أن تعلم أن هذه الرتبة ليس لها وجود الآن لصعوبتها البالغة ومشقتها العنيفة وما تتطلبه من جهاد مرير لايستطيع معه أقوى الجبابرة أن يثبت أمامه ويصمد .

زاره فى مغارته البطريرك أنبا يؤنس (تنيح ١٩٤٢/٦/٢١) وكان يحبه ويسمع له ، وقد كسرت عصا الآب البطريرك فى المسالك الوعرة التى كان يجتازها فى الصحراء فلما زاره قال له : « يا أبونا مينا ، هذه عصاى انكسرت خذها ... » ، وكأنه كان ينبأ عن استلامه عصا الرعاية وجلوسه على الكرسى المرقسى .

ولا يوجد الآن فى صحارى مصر إلا متوحد واحد هو الآب القديس عبد المسيح الحبشى - وهو من دير البرموس .

اعتدنا أن نذكر سير القديسين القدامى فى القرون الأولى وتركنا القديسين الذين عاشرناهم وشغلنا عن نواحى حياتهم الروحية وفضائلهم العميقة مع أنه حق وعدل أن نلقى الضوء على هذه السير المباركة .

آن الوقت الذى فيه نفيق من سباتنا ونقوم من رقادنا ، وكفى تخاذلا فقد رحمت لنا أيها الآب المغبوط ما يجعلنا نتشجع فلا نقول إن الفضائل المسيحية إنما مارسها الآباء الأولون فى القرون الغابرة وقد إنقضت هذه القرون بقديسيها ، ونسينا أن السيد المسيح صخر الدهور هو هو أمس واليوم وإلى الأبد ،

وأنه هو الذى ضرب مثل الحكيم الذى بنى بيته على الصخر فهبت الرياح والعواصف على ذلك البيت فثبت لأنه كان مبنياً على الصخر ، لم تؤثر فيه أية مؤثرات خارجية ، هكذا النفس القوية العميقة فى العشرة مع الله لم تكن لتهزها الأحداث أو تثنيها التجارب بل تزيدها قوة وصلابة تفوق صلابة الماس . هو الذهب المصفى يدخل بوتقة التجارب ويخرج أكثر لمعاناً وبريقاً .

أذيع هذا النبأ المحزن بطريقة عجيبة ، فكما كان الراحل الكريم رجل صلاة ولا يهتم بشىء أكثر من اهتمامه بالصلاة رغماً عن قيامه بمسئولياته الدينية والوطنية ، هكذا أذيع نبأ نياحته فى أوشية الآباء فى صلاة القداس يوم الثلاثاء ١٩٧١/٣/٩ - فنعيه لم يكن بالكلام ولكن بالصلاة وبالترحيم عليه فى سائر الكنائس حيث كانت قداسات الصوم الكبير قائمة ووافت الأنباء المحزنة الكاهن وهو أمام مذبح الرب فعرف الشعب نبأ وفاته من صلاة الكاهن ومن بكائه فى الهيكل . بكته جميع الكنائس فى القداسات ، وأجهش المصلون فى البكاء .

استيقظ مبكراً صباح يوم نياحته كعادته ، مصلياً متضرعاً ثم تابع الصلاة التى تقام فى الكنيسة المرقسية الكبرى بواسطة سماعة تم تركيبها فى حجرته خلال شهر فبراير سنة ١٩٧١ نظراً

للأزمة القلبية التي انتابته منذ شهور. أخذت وفود الزائرين وكان عددهم كبيراً حوالى الخمسين يفدون لنوال بركته وكان آخر من قابلهم القمص حنا عبدالمسيح راعى كنيسة العذراء بروض الفرج وكانت آخر كلماته «ربنا يدبر أموركم»، وما أن وافت الساعة ١٠½ من صباح ذلك اليوم ١٩٧١/٣/٩ حتى فاجأته نوبة قلبية حادة أثر هبوط مفاجىء. فقام رئيس الآباء للفور لحجرته الخاصة ليستريح لكنه لم يلبث أن وقع على الارض وأسلم الروح بيد الرب. حضر أطباء القلب على عجل ولكن الموت كان أسرع منهم وصعدت الروح إلى باريها فى سرعة مذهلة ...

للحال قام المقر البطريركى باتخاذ كافة الاجراءات الخاصة فى مثل هذه الحالة، ونقل جثمان البابا وسجى على سريره وأضيئت الشموع من حوله وأقيمت الصلوات.

وبعد الظهر قام الأطباء بتحنيط جثمان البطريرك وحمله أبناؤه المطارنة ورجال الإكليروس وأجلسوه على كرسى البابوية فى المساء لإلقاء نظرة الوداع الأخيرة عليه بعد أن ألبسوه الملابس الكهنوتية ووضعوا فى يده اليمنى صليبه الذهبى وفى اليسرى عصا الرعاية، وفتحت الكنيسة أبوابها من الساعة السابعة صباح الاربعاء حتى فجر الخميس حيث كان المواطنون يقدرون بعشرات الالوف وكان الزحام شديداً، وكانت كل المنافذ المؤدية للكنيسة

زاخرة بالكتل البشرية التى لا حصر لها ... وفى فجر الخميس نقل جثمان البطريرك إلى الكاتدرائية الجديدة بأرض أنبا رويس بالعباسية.

والمذهل والعجيب حقاً أن أول من كان يتبعه فريق من الشابات النشطات المحبات للمسيح، فقد أمكنهن أن يختبئن فى الكاتدرائية بكلوت بك ثم فى الكاتدرائية بالعباسية - وهكذا كانت وفرة محبتهن ولهفتهن ولوعتهن فقد كنا فى دهش متحيرات باكيات نادبات. فقد فعلن كما فعلت فى القديم مريم المجدلية والنسوة النشطات إذ كن يتتبعن السيد المسيح منذ الصلب حتى الدفن إذ لم يعوقهن شىء.

وفى الساعة الخامسة يوم الخميس بُدىء فى صلاة التجنيز المعتادة وانتهت حوالى الساعة السابعة حيث دفن جثمانه فى المقبرة التى بنيت خصيصاً له فى بهو الأعمدة تحت الهيكل.

وبذلك أصبح أول بطريرك يدفن فى هذه الكاتدرائية التى أنشئت فى عهده.

وهكذا انتهت حياة القديس البطريرك أنبا كيرلس على الأرض فى الساعة ١٠½ من صباح يوم الثلاثاء ١٩٧١/٣/٩، ليبدأ منذ هذه اللحظة حياة الدهر الآتى فى أماكن الفرح والنياح مع القديسين السابقين.

مختصر حياته

ولد بدمنهور فى ٨ أغسطس سنة ١٩٠٢ ، كان يعمل موظفاً بشركة كوك للسياحة بالاسكندرية وكان يدعى عازر (من سنة ١٩٢٤ إلى سنة ١٩٢٧) ، وفى سنة ١٩٢٧ ترك العالم وأراد التفرغ للحياة الدينية فانطلق إلى دير برموس وكان ذلك فى ٢ يوليو سنة ١٩٢٧ وسمى « مينا » . رسم قساً فقمصاً بعد أربع سنوات. وفى سنة ١٩٣١ سكن إحدى المغارات القريبة من الدير حتى سنة ١٩٣٥ حيث تركها وانتقل إلى القاهرة وسكن فى مغارة تقع فى الجبل الشرقى بجوار مصر القديمة وهى عبارة عن طاحونة هوائية مهجورة أقامتها الحملة الفرنسية فى أواخر القرن الثامن عشر ليعيش فيها حتى عام ١٩٤٢ بايحار سنوى رمزى قدره ستة قروش. ولما اعتبرت هذه البقعة منطقة حربية فى سنة ١٩٤٢ انطلق إلى كنيسة العذراء بيابلون الدرج بمصر القديمة ، مكث عامين شرع بعدهما فى بناء كنيسة مار مينا ، وفى ١٠ مايو سنة ١٩٥٩ تمت رسامته بطريركا .

أما أعماله والأحداث التى جرت فى فترة بطريركيته فنتركها الآن إلى مؤلف آخر إن شاء الله .

الرب ينيح نفسه فى احضان آبائنا القديسين ابراهيم واسحق ويعقوب فى فردوس النعيم .

الآباء البطاركة السابقون

أول وآخر بطريرك يدفن فى الكاتدرائية المرقسية بكلوت بك

١ – انبا مرقس الثامن (البطريرك ١٠٨)

ولد فى بلدة طها فى أواسط القرن الثامن عشر ودعى يوحنا وترهب بدير أبا أنطونيوس، وبعد زمن أقام بالدار البطريركية مع البابا يوحنا الـ ١٨ سلفه ، وشاهد ما حل بهذا البطريرك من الويلات ، وبعد نياحة سلفه اختير لرياسة الكرسى المرقسى بواسطة القرعة الهيكلية وكانت رسامته بكنيسة العذراء بحارة الروم فى يوم الأحد ٢٨ توت سنة ١٥١٣ش ، ١٧٩٧ م .

وكان شديد الاهتمام بأمر الكنائس والأديرة واشتهر بعمل الخير والإحسان **وتنيح فى ١٣ كيهك سنة ١٨١٠ م .**

وهو **أول من قبر** من البابوات بالكنيسة المرقسية بجوار المذبح فى الكنيسة الصغرى التى كرسها على اسم الشهيد اسطفانوس **وكان دفنه فى يوم ١٤ كيهك .**

٢ – انبا بطرس السابع (البطريرك ١٠٩) الشهير بالجاولى

ولد بقرية الجاولى مركز منفلوط وكان اسمه منقريوس . ترهب بدير القديس انطونيوس وسمى مركوريوس ، رسم قساً فقمصاً ثم مطرانا فاما ودعى ثاؤفيلس وأقام مع البابا مرقس

سلفه وبعد نياحته أجمع الكل على اقامته بطريركا ورسم فى ١٦ كيهك سنة ١٥٢٦ ش / ١٨١٠ م بعد نياحة سلفه بثلاثة أيام .

اشتهر بالزهد والتقشف والطهارة ، وكان واسع الأفق شديد الرغبة فى إصلاح الكنيسة، واسع الاطلاع كثير التأليف . أنعم الرب عليه بعمل المعجزات ورسم فى أيامه ٢٥ أسقفاً ومطرانين للحبشة ، ومن بين الاساقفة أنبا صرابامون أبى طرحه .

تنيح فى ليلة الاثنين ٢٨ برمهات سنة ١٥٦٨ ش (١٨٥٢م) ودفن بجوار سلفه - كذلك دفن إلى جواره أنبا صرابامون أبى طرحه .

٣ - كيرلس الرابع (البطريرك ١١٠)

ولد سنة ١٨١٦ م بجهة اخميم وفى الثانية والعشرين ترهب بدير القديس انطونيوس ورسم قساً وأخيراً رسم بطريركا فى ٢٨ بشنس ١٥٧٠ ش / ١٨٥٤م .

شرع فى بناء الكنيسة المرقسية الكبرى بعد أن أمر بنقض الكنيسة القديمة التى أتمها المعلم جرجس الجوهرى فى أيام البابا مرقس الثامن ، وتنيح ليلة الأربعاء ٢٣ طوبة سنة ١٥٧٧ ش / ١٨٦١ م .

٤ - أنبا ديمتريوس الثانى (البطريرك ١١١)

كان أولا يدعى ميخائيل رئيس دير القديس مكاريوس ،

انتخب للبطريركية فى سنة ١٨٦٢ م وشرع فى تكميل الكنيسة الكبرى .

استمر فى الرياسة ٧ سنوات و٧ شهور وسبعة أيام وتنيح ليلة عيد الغطاس ١١ طوبة ١٥٨٦ ش / ١٨٧٠ م .

٥ - أنبا كيرلس الخامس (البطريرك ١١٢)

ولد بقرية تزمنت مديرية بنى سويف سنة ١٨٢٤ م وسمى يوحنا ، ترهب بدير السيدة برموس ، وكان الدير فى غاية الفقر ولم يكن يقتات رهبانه إلا بالترمس - رسم قساً من أسقف المنوفية أنبا صرابامون بكنيسة حارة زويله سنة ١٨٤٥م وبعد زمن طلبه رهبان البرموس وعاد إليه - رسم قصاً سنة ١٨٥٥ م وفى أول توفمبر سنة ١٨٧٤ م رسم بطريركا .

فى سنة ١٩٢٤ م أتم البابا كيرلس خمسين سنة على الكرسى المرقسى وهى أطول مدة أقامها بطريرك على الكرسى المرقسى .

تنيح فى ٧ أغسطس سنة ١٩٢٧ م ودفن بمقبرة الآباء البطاركة بالمرقسية .

٦ - أنبا يؤنس ١٩ (البطريرك ١١٣)

ولد فى بلدة دير تاسا (أسيوط) فى ٢٩ كيهك ١٥٧٤ ش ٦ يناير سنة ١٨٥٨ م - فى السابعة عشرة ، إنطلق إلى دير البرموس

سنة ١٨٧٥ م وترهب سنة ١٨٧٦ م ودعى اسمه يوحنا ثم رسم قساً سنة ١٨٧٧م وفى سنة ١٨٧٨م رسمه أنبا كيرلس البطريرك قصاً ورئيساً لدير البرموس ، وفى سنة ١٨٨٧ م رسم مطراناً للبحيرة وانتخب بعد نياحة البطريرك كيرلس الخامس (قائم مقاما) بطريركياً .

وفى يوم ٧ كيهك سنة ١٦٤٥ ش / ١٩٢٨م رسم بطريركا .

زار الحبشة سنة ١٩٣٠م وعمل الميرون مرتين سنة ١٩٣٠، ١٩٣١ م (فى المرة الثانية لأجل الحبشة) وتنيح فى ١٩٤٢/٦/٢١ ودفن إلى جانب زملائه .

٧ – انبا مكاريوس الثالث (البطريرك ١١٤)

فى صباح الجمعة ١٩٤٥/٨/٣١ فوجئت البلاد بنياحة البطريرك وبعد تحنيط الجثة انزل من قصره إلى الكاتدرائية الكبرى وفتحت منذ الساعة ٩ صباح يوم السبت ١٩٤٥/٩/١م إلى الساعة السابعة مساء وفى صباح الأحد ١٩٤٥/٩/٢ انضم إلى اخوته البطاركة . واذاعت الدار البطريركية النعى الآتى :

انتقل إلى الامجاد السمائية فى الساعة ٩½ من صباح اليوم الجمعة البابا الطوباوى الأنبا مكاريوس الثالث بطريرك الكرازة المرقسية متمما رسالته الدينية .

ولد غبطته فى صباح الأحد ١٨ فبراير سنة ١٨٧٢ م فى المحلة الكبرى وانتظم فى سلك الرهبنة فى دير القديس الأنبا بيشوى فى سنة ١٨٨٨م ورسمه الأنبا يؤنس مطران الاسكندرية قساً فى سنة ١٨٩٢م ، وفى سنة ١٨٩٥م رقاه الأنبا كيرلس البطريرك إلى رتبة قص وفى سنة ١٨٩٧م اختير اسقفاً لاسيوط ورقى بعد ذلك إلى رتبة المطرانية .

وبعد ما قضى فى هذه الرتبة ٤٧ سنة وقع الاختيار عليه ليكون عظيما لأحبار الكنيسة المرقسية خلفاً للثلث الرحمة الأنبا يؤنس التاسع عشر . واحتفل برسامته بطريركا باسم الأنبا مكاريوس الثالث (١١٤) بالانتخاب فى ١٩٤٤/٢/٤ ...

وذكر عنه أنه قبل وفاته بأسبوع كان يزوره بعض أبنائه الاقباط وكان مما قاله لهم أن هذه نهايتى ولن أعيش بعد الآن ... وبعد أيام طلب أن يرى شقيقته وأقاربه .

وبكلمات ثلاث ختم حياته ، نطق بها قبل نياحته وكانت آخر كلماته . « هذه ثمرة حياتى » .

٨ – انبا يوساب الثانى (البطريرك ١١٥)

ولد فى جهة النغاميش التابعة لمركز البلينا سنة ١٨٨٠ م وكان يشتاق للزى الملائكى فدخل دير القديس انطونيوس وهو فى

السابعة عشرة من عمره وسمى الراهب اقلاديوس ، وظهر نبوغه وانكبابه على الدراسة الدينية والبحث وسيم قساً ثم قصاً سنة ١٩٠١ وأرسل فى بعثة إلى كلية رزاريوس بأثينا وظل بها من سنة ١٩٠٢ - سنة ١٩٠٥ ، وكان يجيد اللغات الفرنسية واليونانية والقبطيـــة .

عين رئيساً لدير يافا ثم رسم مطرانا لجـــرجا وعين نائباً بطريركيا مرتين الأولى عندما سافر البطريرك أنبا يؤنس التاسع عشر (تنيح ٢١ / ٦ / ١٩٤٢) إلى أوربا والثانية بعد نياحة أنبا يؤنس ، وقد اختاره لهذا المنصب المجمع المقدس والمجلس الملى العام فى ذلك الحين .

زار اثيوبيا مرتين الأولى سنة ١٩٣٠ مرافقاً للأنبا يؤنس والثانية سنة ١٩٣١ موفداً لتتويج امبراطور أثيوبيا الحالى جلالة هيلاسلاسى - ومن هنا نشأت بينه وبين الامبراطور والاسرة المالكة علاقات مودة . رسم بطريركا سنة ١٩٤٦م .

نياحتـــه

تنيح فى الساعة ٩ وعشر دقائق من صباح يوم الثلاثاء ٤ هاتور سنة ١٦٧٣ - ١٣ نوفمبر سنة ١٩٥٦ . وفى الساعة الثالثة مساء بدأت عملية التحنيط التى اشترك فيها ستة أطباء واستمرت

عشر ساعات كاملة ، وفى العاشرة من صباح الاربعـــاء البسوا الجثمان الرداء البطريركى الموشى بالذهب ووضع على رأسه التاج ووضعوه على كرسيه ليلقى الشعب النظرة الاخيرة وتمت مراسيم الصلاة والدفن فى الساعة الثالثة من مساء الخميس ١٥ نوفـــمبر سنة ١٩٥٦ .

وجاء فى وصية الأب البطريرك

« أحبوا بعضكم بعضاً وأطيعوا رؤساءكم وذوى الحكم فيكم . إحفظوا وصايا الله ، كونوا متحدين ، ضعوا مخافة الله نصب أعينكم ، حافظوا على وطنكم وتضافروا فى الدفاع عنه ... » .

* * *

نجوم الكنيسة

المعاصرون للمتنيح البطريرك كيرلس السادس

جدير بنا أن نذكر طرفا من سيرة معلمه المتنيح القمص **عبد المسيح صليب المسعودى البرمومى**، الناسك العابد والعالم اللاهوتى القديره كذا بعض ما حفظ من سير زملائه منهم الآب الحنون محب الصـــلاة لابس الإسكيم القمص بولس البرمومى والقمص متياس البرمومى.

هؤلاء الآباء الأبرار الذين فاح عبيـــر قداستهم وكانوا مصابيح مضيئة فى برية شيهيت، نرى أنه من الحق علينا أن نتأمل فى بهاء سيرهم وما تلقيه من الضوء على الصلات الروحية بينهم وبين قداسة البابا.

القمص عبد المسيح المسعودى الصغير

معلم البطريرك الصوم والنسك والتقشف والصمت

ترهب فى دير البرموس عن يد عمه المسعودى الكبير (ستأتى سيرته) فى سنة ١٨٧٤ م ورسم قسا فى سنة ١٨٧٥ م وقصا سنة ١٨٩٠ م، وانتقل إلى الرب فى ديره فى الصـــوم الكبير فى ١٥/٣/١٩٢٥.

وقد تفضل حضرة صاحب القداسة الآب الورع القمص داود بطرس عوض الله البرمومى أطال الله حياته فأرسل إلينا موجزاً لسيرة المسعودى ننشره هنا فيما يلى مع الشكر البالغ.

والقمص داود هو ابن كاهن كنيسة القديسين بطرس وبولس بالعباسية (المتنيح القمص بطرس عوض الله ستأتى سيرته - وكان أبوه الروحى هو المسعودى الصغير أيضاً) الذى كان فريداً فى زمانه علماً وفضلا ونبلا وكان مكرما له مكانته العظمى فى نفوس أبنائه. وقد سار الآب القمص داود وله منزلة خاصة فى نفوسنا على نهج أبيه واتبع خطاه.

أرسل القمص داود البرمومى يقول:

«فى غير ما تؤدة ولا مواددة، فى صمت تام، فى تواضع ما بعده تواضع، فى رزانة ثابتة، فى تفكير سليم، فى عزم نادر، فى جلد وصبر، فى دقة وإحكام، فى فهم غزير بعد البحث والتنقيب والاطلاع، فى تروٍ واتقان ومقدرة بالغة.

راح يجد ويعمل فأجاد وأتقن، ضحى وقدم فأبدع، توالت منه ثمار ناضجة هى الآن بيننا تتكلم فى صمت وتعلن عن كده وتحصيله. فاستحق أن يتمجد اسم الله به وفيه لأننا رأينا أعماله صـــالحة.

هذا هو رجل المعرفة والبركة، رجل الثمرة الصالحة إن النعمة فاستحق أن يرى عالقه ويكون أهلا لرضاه ومحبته .

هذا هو المتنيح القمص عبد المسيح صليب المسعودى ؟

أمضـــاء.

١ / ١ / ١٩٦٩ داود راهب البرموس

† † †

جمع هذا الأب المكرم بين قداسة السيرة وطهارة الحياة وشدة النسك والتقشف ، ووفرة المعرفة اللاهوتيـــة والطقسية وإلمامه باللغات القبطية والسريانية والحبشية إلى جانب الفرنسية والانجليزية، فكان مؤلفاً قديراً مثالياً فى الصبر والجلد على الدرس والبحث حتى أنه كما يذكر هو نفســـه عن كتابه (الكرمة فى حسابات أعياد الكنيسة) أنه قضى فى تأليفه عشرين عاما وراجعه أكثر من مائة مرة .

كان كثيراً ما يقيم بالدار البطريركية متفرغا للدرس فى مكتبتها - قريباً من البابا كيرلس الخامس (تنيح سنة ١٩٢٧م) والبابا يؤنس (تنيح سنة ١٩٤٢ م) وكلاهما من دير البرموس . كانت تحال إليه الأمور الهامة لدراستها وابداء رأيه فيها ، وكان يقوم بتأليف ومراجعة ما يصدر منها . فوضع كتب الكرمة ،

حسابات الكنيسة، تحفة السائلين فى ذكر أديرة الرهبان المصريين ووضع الحولاجى الكبير لاول مرة مع حواشيه .

وجملة تغنى عن التفصيل كان عالما فذاً ولاهوتيا عميقاً مدققاً وكانت القراءة والاطلاع شغله الشاغل تشغله عن تناول طعامه إذ يغوص فى بحر التأمل العميق وهو منكب على المطالعة ساعات طويلة ، ولمؤلفاته قسم خاص بمكتبة دير البرموس وقد طالع كتب الدير جميعها وأشر بالتصحيح على الكثير منها ، كما درس كتب المكتبة البطريركية بالقاهرة .

وبالحقيقة كان وحيد زمانه فى التأليف فلم يكن أقدر منه - ويعتبر المتنيح حبيب جرجس مدير الإكليريكية من تلاميذه فى المعرفة والتأليف .

أما عن نسكه القديس فإنى استطيع أن أروى عنه أنه سافر مرة قبل نياحته بزمن قليل من الأقصر إلى القاهرة بالقطار الذى يقوم الساعة ٢ بعد الظهر والذى يصل القاهرة الساعة ٦ صباح اليوم التالى - فى الدرجة الثالثة - وكان فى زيارة لمدينة الأقصر ونزل ضيفاً على ابن أخيه المرحوم هابيل بشارة سكرتير تفتيش آثار الوجه القبلى ، ولا نعلم سبب هذه الزيارة .

ولعلك تستطيع أن تقف من ذلك على مقدار نسكه وتقشفه

فلو لم يكن معتاداً النسك والتعب والتقشف لما استطاع تحمل أتعاب السفر بالدرجة الثالثة وبالصعيد وقد تجاوز الثمانين عاما.

لم يكن المسعودى يحب كثرة الكلام واللقاء بالناس فقد كان دائم اللقاء بالله - إذا جئت إليه محبياً للحال يشغلك بأحد الكتب المقدسة لتقرأ له فصلا - وهكذا كان يصرف وقته فيما هو نافع.

كان يصلى بكنيسة القديس اسطفانوس الصغيرة الملحقة بالكنيسة المرقسية الكبرى بالقاهرة، وكان موضع جلوسه لايتغير، فكان يجلس بالقرب من مدفن الآباء البطاركة وأمامه الحائط فلا يرى وجه أحد، ويظل كذلك حتى ينتهى القداس وبعد أن ينصرف الناس ينطلق إلى قلايته فى صمت وهدوء.

لم يُر فى مكان ما حباً فى العظمة والأبهة فكان لا يحب الافتخار والمجد الباطل - تراه واقفاً إلى جانب أحد الأعمدة منفرداً، وكان يخيل لكل من يراه أنه رجل أمى بسيط. حقاً لقد شابه القديسين الأوائل العظام، تنيح بالغاً من العمر أكثر من ثمانين عاما بركة صلواته تكون معنا آمين.

القمص عبد المسيح المسعودى الكبير

كان عم المسعودى الصغير. ولد فى قرية الشيخ مسعود غربى

طهطا، ترهب فى دير المحرق سنة ١٨٣٥م وعمره ١٧ سنة وفى سنة ١٨٥٧ م انتقل إلى دير البرموس مع بعض الرهبان، كان بينهم الراهب بولس الدلجاوى الذى رسم فيما بعد أسقفاً للفيوم باسم الأنبا ابرآم (تنيح فى ١٠/٦/١٩١١) وكان عالما بالكتب زاهداً، وقد أقامه البابا كيرلس الخامس الـ ١١٢ (١٨٧٤ - ١٩٢٧) أميناً على الدير فى أبريل سنه ١٨٧٨ م وكان يدعى دائماً القمص عبد المسيح صليب المسعودى الكبير تمييزاً له عن ابن أخيه القمص عبد المسيح صليب البرموسى.

ولما كان بدير المحرق وضع مدائح كثيرة جداً لشهر كيهك. ولما كان أميناً للدير طلب لأسقفية أسيوط فاعتذر وقبلوا عذره ولم يرسم.

وفى أواخر حياته توحد ١٥ سنة، أحياناً داخل الدير وأحياناً فى مغاير صنعها خارجا إلى أن تنيح سنة ١٩٢٣م بالغاً من العمر ٨٨ سنة، بركة صلاته تكون معنا آمين.

القمص بولس البرموسى

معلم الصلاة الدائمة

تنيح سنة ١٩٣٩م بالغاً من العمر نيفا وثمانين عاما، وهو من مواليد مركز منيا القمح. ترهب منذ صباه بدير البرموس

وكان فى شيخوخته يقيم بالفلاية البطريركية قريباً من البطريرك أنبا كيرلس الخامس والبطريرك أنبا يؤنس التاسع عشر .

امتاز هذا الآب بأمور كثيرة لا ولن نرى لها مثيلا .

كان محباً للضيافة ، كل من يقبل إليه يجلس ليغسل قدميه - وقد تقدمت به السنون جداً، ومع ذلك كان يقوم بواجب الضيافة للجميع بلا استثناء حتى الصغار .

بلغ درجة عالية من القداسة حتى كان يشن حرباً على الشياطين ويطاردها .

شفتاه تتحركان دائماً للصلاة - لم يُرَ إلا مصليا ، فكان محباً جداً للصلاة فى جلوسه ووقوفه حتى عند غلقه باب قلايته وعند نزوله على السلم وفى سيره فى الطريق . . . وهكذا كان شأنه كما رآه الكل .

كان من لباس الاسكيم - ومع الأسف يندر أن نجد من يحمله من الرهبان الآن لصعوبة القوانين التى ينبغى أن يقوم بها .

كان دائماً يقول نشكر الرب ، نشكر المسيح إلهنا .

مرض مرة ورقد على فراشه ، لم يلجأ إلا إلى الرب الشافى القادر على كل شىء ، ولم يفصح لأحد عن أمره .

كل من سأله عن علته كان يقول نشكر الرب ، نشكر المسيح إلهنا ، وإذا تكرر عليه السؤال فلا يغير إجابته .

كان يصلى القداس بالكنيسة المرقسية الصغيرة (كنيسة القديس اسطفانوس) ، وكانت رائحة البخور تنبعث منه دائما كلما أقبلت إليه محبيا أو جلست إلى جانبه ، كان لا يفارق الكنيسة أو قلايته حيث يصلى لأبيه فى الخفاء .

وبالجملة كان ناسكا متقشفا صواما متواضعا محبا راسخا فى القداسة .

لم يكن الطريق الصحراوى المتجه إلى دير البرموس معروفا وكان ينتقل إلى الدير عن طريق الخطاطبة فالهوكريه - طريق شاق طويل جداً ، يجوب الصحراء وهو يحمل أمتعته حتى الدير وقد تقدمت به السنون .

رقد فى الرب سنة ١٩٣٩م وقد تجاوز الثمانين عاما .

كتب عنه قداسة الآب العالم المؤرخ القمص صموئيل تاوضروس السريانى عدد أبريل سنة ١٩٦٧ مدارس الأحد - يقول:

« القمص بولس البرموسى ١٩٣٩ المحسن الكريم والزاهد العفيف الذى كان يتصدق بكل ما لديه وبتوسل يغسل قدمى زائره ويجففهما بثيابه جيدا [1] واسمو مرتبته الروحية

(١) هذه كانت عادته حتى نياحته .

كانت الشياطين تظهر له عيانا وهو فى سن الشيخوخة .

وقد كنت أحاوره بصيغة التحدى لا تنزع شيء من اختباراته العميقة وعندما سمعته يقول لأحدهم وكان قد سأله عن مسقط رأسه إن بلدى هى دير برموس بوادى النطرون، إلتفت إلى محدثه وقلت له إن أبانا ينسى لأنه تجاوز التسعين من عمره فهو من مواليد كفر الصعيدى مركز منيا القمح ، أما هو فالتفت إلىّ وقال مبتسما « حذار أن تلتفت إلى الوراء لئلا تصير عمود ملح ! » .

وبعد أن انتهينا من سرد هذا الموجز البسيط لحياة عشرة طويلة عميقة وقوية عاشها مع الحبيب يسوع لا يستطيع أحد وصفها تنتقل إلى سرد موجز لحياة أب فاضل رقد فى الرب فى ١٧/٧/١٩٧٠ هو القمص متياس البرموسى .

+ + +

القمص متياس البرموسى

الصديق الروحى المحب للجميع والمعروف بانضاءه

كان يدعى « شفيق عازر » من عائلة كريمة محبة للصلاة والصوم والصدقة وملازمة الكنائس والاجتماعات الروحية . ولد بقرية كوم اشقاو مركز طما سنة ١٩٠٥، ولما بلغ من العمر

ثمانية عشر عاما اشتاق للرهبنة فانطلق إلى دير البرموس وترهب فى ١٤ بؤونة ١٦٤٠ش (١٩٢٤م) واستقر فى الدير سنين طويلة لم يبارحه وأجهد نفسه فى الصلاة والصوم ونسخ الكتب المقدسة فقام بنسخ كتب تاريخية كثيرة لأنه كان مولعا بسماع سير القديسين للإقتداء بهم - كما نشهد بذلك الكتب التى رأيناها - وكان ممتازاً بالدقة وحسن الخط حتى كان بالسلاسل الذهبية أشبه.

كان وديعا متواضعا منكراً لذاته ، محبا للفقراء والمساكين صواما مصليا ، وجهه يضيء بنور القداسة والطهارة ، يدخل بيت الرب فى خشوع ويصلى رغم مرضه وهو واقف متكىء على عكازه .

غادر الدير فترة بسيطة فى سنة ١٩٣٠ م فى أيام أنبا يؤنس البطريرك (تنيح سنة ١٩٤٢) وأقام بالاسكندرية بعض الوقت بأمر مزقداسة الأب البطريرك . لكنه لم يقض سوى فترة قصيرة حتى اشتاق إلى العودة للتعبد فى ديره فأذن له البطريرك بالعودة.

وأقام مدة بمدرسة حلوان اللاهوتية وأقام بعض الوقت سنة ١٩٣٥ بدير أنبا صموئيل بصحراء الفيوم ثم عاد إلى دير البرموس سنة ١٩٣٦ .

فى سنة ١٩٤١م قبل نياحة البطريرك أنبا يؤنس انتدبه للصلاة

بالكنيسة المرقسية بالقاهرة وأقام حوالى ستة أشهر وبعدها انتدب للصلاة بكنيسة الملاك بدمنهور ومكث هناك حوالى ثلاثة أعوام .

أسس أول كنيسة فى السنطة سنة ١٩٤٥ ومكث فيها حوالى سنتين وبعد ذلك عاد إلى مدرسة حلوان سنة ١٩٤٧م كما أسس كنيسة أبو حماد وعاد لدير البرموس أيام قداسة البابا المعظم أبا كيرلس السادس نيح الله نفسه ، وذلك فى سنة ١٩٦٠، وتنيح فى يوم الجمعة ١٩٧٠/٧/١٧ الساعة ٥ مساء ، وكانت آخر كلماته أن نادى أحد الرهبان وقال له «أنا ماشى» ثم رسم علامة الصليب على وجهه مرتين وقال « سلام سلام » ثم أسلم الروح بركة صلاته تكون معنا آمين .

† † †

المتنيح القمص بطرس عوض الله

هو الكاهن المثالى الآب الروحانى صاحب الفضائل المسيحية الباهرة ذو الشخصية اللامعة فى سماء الكنيسة المصرية ، وسبق أن نشرنا كلمة لإبنه القمص داود البرموسى عن المتنيح القمص عبد المسيح المسعودى معلم المتنيح البطريرك ومعلم القمص بطرس عوض الله .

القمص بطرس هو الكاهن الأجل والمعلم البارع وله تاريخ حافل لا ينبغى إغفاله ، فهو ثانى اثنين عرفتهما الكلية الإكليريكية فهو زميل اللاهوتى الكبير المتنيح حبيب جرجس .

لم يكن راهبا أو متوحداً لكنه كان كاهنا هريقا ومعلما وراثداً . كان فى سلوكه إنجيلا مقروءاً بقدوته وقداسته . أمتاز بنقاء السيرة وطهارة الحياة كما امتاز بعلمه وتأثير وعظه وقوة شخصيته ، فإذا تكلم جذب إنتباه سامعيه فكأن على رؤوسهم الطير، لم يدخن ولم يشرب مسكراً طوال حياته حتى القهوة والشاى لا يتناولها إلا لضرورة .

كان عف اللسان ، قليل الكلام ، ذا هيبة ووقار لكن كلمته هى فصل الخطاب ، وكان فى رزانة ومحبة ، رائعا فى قداسة منظره ، كما كان يعتنى بملابسه الكهنوتية أبلغ الاعتناء . حسن الوى ذا مشورة صالحة يبدو مظهره عن مخبره . فهو شخصية متألقة من الرعيل الأول من خريجى الكلية الإكليريكية ، تخرج فى مدارس الفرير، يجيد الفرنسية إجادة تامة كما يجيد القبطية، وكان - تيح الله نفسه - عالما فى الطقوس القبطية والتفاسير اللاهوتية، متمكنا فى الوعظ ، علماً ممتازاً فى سر الاعتراف المقدس والإرشاد الروحى. استمع جيل مضى إلى بعض محاضراته الروحية فى الكاتدرائية المرقسية بكلوت بك .

اشتغل منذ صباه بالوعظ بكنيسة قوص ، خدم فترة فى كنيستى مغاغة والسودان واستحق المحبة والثناء ، كما عمل كاهنا

بكنيسة أبى السيفين بالقاهرة ، وخدم سنين طويلة بكنيسة القديسين بطرس وبولس بالعباسية حتى سنة ١٩٣٤، تنقل بعدئذ بكنائس المهمشة والظاهر والفجالة حتى رقد فى الرب سنة ١٩٦٣ بالغا من العمر نيفا وتسعين سنة ، بركة صلواته تكون معنا آمين.

فضـــائله

١ – الصمت التام فى الكنيسة والهيكل وتوقير الخدمة

من الوقت الذى نطأ قدماه عتبة الباب الخارجى للكنيسة لا يتكلم حتى الانصراف منها مهما كانت الأسباب - تسير معه تتحدث كيفما شئت ، وتقتبس من آدابه فتروى روحانيته حتى باب الكنيسة فقط ، وبعد باب الكنيسة فليس هو معك ولا يلتفت إليك لكنه يدخل فى وقار كلاك ، وقار لا يدانيه وقار، لا يلتمس إلى من يسلم عليه لكنه يمد يده مصافحا وهو يسير فى طريقه إلى الهيكل .

يسجد أمام باب الهيكل ثلاث سجدات ثم يدخل إلى الهيكل ولا يخرج منه الا لإعطاء البخور وقراءة الإنجيل .

فى الهيكل إذا بدأ الصلاة فإنه يقف ثابتا لا يتحرك لا يلتفت يمنة ولا يسرة وكان لا يرد على كائن من كان أثناء العبادة مهما كانت الضرورة التى دفعت المتكلم .

وإذا بدأ صلاة القداس لا ينطق بلفظة « إشليل » إلا إذا كان واقفا بالمعبد أمام المذبح ويظل ثابتا فى مكانه لا يتحرك حتى الفراغ تماما من خدمة القداس - ومهما قيل من الحان أو ترانيم فوقفته ثابتة .

وترى الشماس أيضا داخل المذبح ثابتا فى صمت وهدوء إذ لا يؤذن له أن يتنقل أو يترك المذبح إلا بعد انتهاء خدمة القداس وحفظ أوانى المذبح بعد تجفيفهـــا - وكان يوكل إليه ذلك بعد التحقق من استعداده الروحى، فى كل مرة يصعد فيها إلى الهيكل.

أما مساعد الشماس فمهمته مراقبة أمور المذبح ، من احضار الشوريا واصلاح النور وايقاد الشموع وتقديم اللفائف وأيضا تنبيه الغافلين .

ومساعدو الشماسة فى الكنيسة (الايبوذيا كونيون) يحفظون أبواب الكنيسة ويرشدون المصلين إلى أماكن الجلوس، مع الإشراف حتى يسود الكنيسة صمت عميق .

وهكذا كان يجرى كل شىء داخل الكنيسة بترتيب ونظام، بينما كان هذا الكاهن الجليل كالطود الشامخ فى عبادته ، فمنذه كانت تقف الأنظار والجميع ينصت إلى صلاته يستمع إلى نبرات

صوته الرائق البديع فيستروح من صلاته البركة إذ كانت تستحوذ جلالة الأسرار على مشاعره وتشد انتباهه فى التقديس .

نظره وعقله مشدودان الى فوق .

حدث مرة أن كبيراً كان ينادى له لكن الكاهن لم يكن قد صرف الشعب قائلا امضوا بسلام ســـلام الرب معكم فلم يلتفت إلى ندائه رغم كثرة المناداة حتى بعد الانتهاء تماما ثم سأله عن حاجته !!

وحدث مرة أن أحد أبنائه أغمى عليه وهو فى الهيكل - وعلى الأقل شعر بما حدث فى المحيط الذى يحيط به - لكنه لم يحرك ساكناً لا هو ولا الشماس، لكن أسرع الايبوذيا كونيون لانخاذ ما يلزم .

حدث مرة أن وقعت إحدى الغارات الجوية الحقيقية أثناء الصلاة ، ظل فى صلاته فى هدوئه الكامل .

وهو فى خدمته إنما ينفذ تعليمات وتقاليد الكنيسة المجيدة. ونأتى هنا - لفائدة القراء - بما جاء فى كتاب مجموع القوانين الباب الثانى عشر فى القداس :

١- « ... ولا يتكلم بالجلة فى الكنيسة لأن بيت الله ما هو

موضع كلام بل موضع صلاة بخوف والذى يتكلم فى الكنيسة يخرج ولا يتقرب فى تلك الدفعة من الأسرار .

٢ - من ضحك فى القداس إن كان كاهناً (له رتبة الكهنوت) فعقوبته أسبوع وإن كان علمانياً فليخرج فى تلك الدفعة ولا يتناول من الأسرار » .

وكان من عادة المتنيح القمص بطرس عوض الله إذا لم يقرأ الإنجيل قبطياً أن يقرأه هو عربياً على باب الهيكل ووجهه إلى الغرب لأنه معروف أن الإنجيل يجب أن يقرأه الكاهن أو الشماس الكامل للضرورة (الذيا كون) ويطلق عليه الشماس الإنجيلى أى الذى من حقه أن يقرأ الإنجيل لكن بأمر الكاهن.

وهذا النظام الكنسى البديع أحرى به أن يتبع لأنه إذا كان الكاهن هو الذى يقرأ السنكسار فكيف لا يقرأ الإنجيل ! ! .

ولكى تعرف مقدار كرامة التلاوة فإن نظام الكنيسة يقضى بأنه إذا كان الآب البطريرك موجوداً فهو الذى يقرأه بعد أن يخلع تاجه . . .

وهكذا كان ينظر إلى قراءة الإنجيل كما كان الأصل فى القديم - وإنما سمح للشماس الكامل بقراءته فى وقت يكون الكاهن فيه قد طعن فى السن وأصبح من الصعب وقوفه .

وفى سيرة القديس العظيم أنبا صرابامون أبى طرحه أنه هو الذى كان يقرأ الإنجيـــل ، فيذكر فى تاريخه أنه كان إذا رأى الإنجيل طويلا - وكان قد تقدمت به السنون - يطلب هون أم النور ، وكان يصرخ ويقول « يا أم النور ده طويل قوى يا أم النور ... » .

قراءة الرسائل

ومن بديع النظام أيضاً داخل الكنيسة ومنع التشويش كانت قراءة الرسائل من اختصاص القراء الذين يلبسون الملابس الكهنوتية وحدهم ، وكانوا معروفين . واحد للبولس وآخـــر للكاثوليكون وثالث للأبركسيس .

إذا فرغ قارىء البولس ينهض المختص بقراءة الكاثوليكون فى صمت ، ثم قارىء الابركسيس ما عدا المواسم والأعيـــاد وأسبوع الآلام فكان الآب الكاهن - أو من يوكل إليه الأمر - يرتبها .

٣ - عـدم المحاباة

عرف عن أبينا المتنيح القمص بطرس عوض الله أنه كان لا يميز فى الكنيسة بين الكبير والصغير ، لا تعرف المحاباة إليه

سيلا ، لكنه كان يختار من يحسن القراءة ـ كان يوزع القراءات ويعامل الجميع معاملة واحدة ، كان يعطى الكتاب للقراءة وهو جالس فى مكانه وشوهد ذلك الامر حتى عند اعطائه الكتاب (للباشاوات) فى ذلك الوقت شأنهم شأن أى قارىء آخر. وهذا ما نبه إليه معلمنا يعقوب الرسول .

٣ – عدم العجلة فى الصلاة

كان لا يعرف اختصار الصلاة أو العجلة فيها ولذلك كانت تنصرف الكنيسة فى موعد يكاد يكون ثابتاً لان حضوره أيضاً له موعد معروف يكاد يكون ثابتاً أيضاً ، أما الاواشى التى قبل صلاة الصلح فلم يغفلها أو يقراها سراً ولا مرة واحدة فى سنى كهنوته الطويلة .

عدم تخلفه عن القداسات

لم يتخلف قط عن قداساته حتى فى أقسى التجـــارب التى تعرض لها فى حياته الكهنوتية ، وكان يتمتع بصحة قوية ممتازة حتى فى شيخوخته .

٤ – تقديس سر الاعتراف

كان ذا هيبة ووقار شديدين، يستقبل طالبى الاعتراف وماء البشر فى وجهه فى ابتسامة خفيفة .

كان يقدس سر الاعتراف فيستمع إلى اعتراف أولاده فى مكان قصى فى الكنيسة أو فى الهيكل ،لا يتأفف قط من اعترافات أولاده لكن فى محبة نادرة يفرح بهم ويعزيهم ويقربهم للتناول ، ويهتم جداً بالتداريب السهلة التى يستطيع أبناؤه تنفيذها بالفعل. وكان يصلى من أجل اعترافات أولاده ، وإذا رأى أحد أبنائه فى ضيقة فإنه يطمئنه ويخبره بأنه سيصلى من أجل مشكلته ، وله صلوات خاصة طويلة كان يصليها على المياه ويعطيها للراغبين فيها .

وكان من عادته بعد الصلاة الا يسترسل فى الحديث فكان لا يحب أن يسمع معاودة الشكوى عن نفس الموضوع الذى صلى من أجله وكان يقول ، أن السيد حضر الصلاة وهو الذى قال «اسألوا تعطوا ... ليكن لك إيمان بالمكتوب».

لم يسمع منه قط طول حيـــاته قوله انى سمعت فى بعض الاعترافات كذا كذا ـ ولو كانت أمور عامة جداً ـ فإن كلمة اعتراف أو معترف لم ترد على لسانه قط ، وليس هذا الامر كان قاصراً على عظاته فى الكنيسة فحسب ، لكن حتى النفس الاخير وهو فى منزله إلى أن بلغ إلى الشيخوخة الصالحة ـ ولو بعد وفاة المعترف ـ وهذا ما ينبغى أن يكون .

٥ – محبته وعطفه على أبنائه

كانت تغمره المحبة الأبوية لأولاده ، كان شديد العطف والحنان عليهم ، ولم يدر بخلد أحد أن يبدله بأب آخر مهما كان الأمر ، بل ظل أولاده ملازمين له السنين الطوال حتى يوم نياحته - وكانوا فى ذلك مغتبطين فقد وجدوا لهم أباً حقيقياً محباً وديعاً يشاركهم آلامهم .

٦ – إيمانه وصبره فى التجارب

حدثت لهذا الأب تجارب متنوعة بدأت فى سنة ١٩٣٤ حينما كان رئيساً لكنيسة القديسين بطرس وبولس بالعباسية وأخلى منها وانتقل إلى كنيسة حارة الروم لدى صديقه المتنيح القمص بولس غبريال .

لم يتأثر من نقله من كنيسة خدمة إلى أخرى لكنه كان يقول أن مذبح الرب واحد والذبيحة واحدة ولافرق بين كنيسة عظيمة وكنيسة بسيطة المظهر .

كان له خمسة أبناء وهم عازر وهو القمص داود البرموسى الآن أطال الله حياته ومرقس ويوحنا ومتى ولوقا ، وأصغرهم هو المهندس لوقا أطال الله حياته .

رقد فى الرب ابناؤه مرقس ويوحنا ومتى وهم فى شرخ الصبا فى حدود العشرين ربيعاً بين الواحد والآخر حوالى السنتين أثر مرض ينقض عليهم فجأة ولا يمهلهم إلا قليلا.

رقد الثانى بالمستشفى وكانت أمه مريضة فقام بالواجب نحو دفنه ولم تره والدته ، ولما طلبت مرة أن تزور ابنها يوحنا أعلمها بأنها سوف تعاينه فى السماء .

بعد زمن قصير مرض الشاب متى بمنزله بالعباسية وكانت والدته بالمعادى للاستشفاء ولم يمهله القدر وتوفى ليلة سبت النور ، وفى فجر السبت صلى الأب الطوباوى القداس كعادته ، ترك إبنه مسجى على فراش الموت وذهب إلى الكنيسة وكان يقول إن كثيرين لهم عادة الاعتراف والتناول فى هذا اليوم .. !! وبعد زمن ليس بطويل انتقلت الزوجة الصالحة إلى جوار أولادها .

وفى كل تجاربه ، تركه الكنيسة ، ووفاة أولاده الثلاثة لم يشكو مرة واحدة أو ينقطع عن قداسه .

٧ – مداومته على الصلاة والصوم والقداسات

إذ علمت أن معلمه وأبا اعترافه كان القمص عبد المسيح المسعودى مرشد البعاريك يمكنك أن تدرك شدة محبته للصلاة والصوم .

عرف عنه أنه حتى نياحته كان يصلى صلاة طويلة سرية وهو يغمض عينيه حوالى نصف ساعة على الماء ، ولا نعلم ما هذه الصلوات ، وكان يصلى كثيراً من أجل طلبات أولاده .

وكان مدققاً جداً فى حفظ الأصوام الكنسية وأثر عنه أنه كان مرة مع أحد تلاميذه وقدمت لهما القهوة وكان ذلك حوالى الظهر فما أن شرب تلميذه قدح القهوة حتى قدم له القدح الخاص به ليشربه فى هدوء فقد كان صائماً وأنعم الرب عليه بموهبة شفاء الأمراض وكان كثيرون يقصدونه .

كان طويل القامة لم يسقط شعره ولم تسوس أسنانه ولم يكل بصره بل كان يتمتع بصحة تامة وقبل نياحته بيومين كان يتقبل اعترافات المعترفين . وتنيح فى نوفمبر سنة ١٩٦٣ بالغاً من العمر أكثر من تسعين عاماً بركة صلواته تكون معنا آمين .

† † †

أودع بدار الكتب تحت رقم ٣٤٦٧ لسنة ١٩٧١